مجلة الدراسات التاريخية

مجلد 25 العدد 02 ديسمبر 2024 ص-ص 152-174

E-ISSN : 2588-2090
ISSN : 1111-3707

التهيئة والإعداد السياسي لولاة العهد بالأندلس خلال عصري الإمارة والخلافة (138-422هـ/756-1031م)

Preparation and Political Training of Heirs Apparent in Al-Andalus during the Eras of Emirate and Caliphate (138-422 AH / 756-1031 AD)

عيسى ضيف الله [1] ،

جامعة يحيى فارس المدية (الجزائر)، daiffallah.aissa@univ-medea.dz

مخبر الدراسات التاريخية المتوسطية عبر العصور

د عبد الصمد حمزة[2]

[2] جامعة يحي فارس المدية (الجزائر) hamza.abdessamad@univ-medea.dz

تاريخ الاستلام: 2024/10/27 تاريخ القبول: 2024/12/03 تاريخ النشر: 2024/12/29

Abstract

This study aims to investigate the efforts made by the Umayyad emirs and caliphs in Al-Andalus to prepare and train their successors, by examining the most important methods, techniques, and stages they followed to achieve this goal. It also highlights the key aspects of the care taken by Umayyad rulers in Al-Andalus to educate and prepare their heirs intellectually, academically, and politically, as well as militarily.

And it became clear through this study that the Umayyad emirs and caliphs took great care in raising their sons with proper upbringing, particularly the heirs apparent who received special and distinct education and treatment compared to their other brothers because they were the future rulers, and they took care to prepare and train them properly in order to ensure the stability and continuity of the state.

Keywords: Preparation; Political preparation; Crown prince; Wilayat al-Ahd ; Al-Andalus.

المؤلف المرسل: عيسى ضيف الله.
daiffallah.aissa@univ-medea.dz

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن مدى حرص أمراء وخلفاء بني أمية بالأندلس على إعداد وتهيئة ولاة عهودهم من خلال التّعرف على أهم الطرق والأساليب والمراحل التي اتبعوها لتحقيق ذلك، وإبراز أهم مظاهر اعتناء حُكام بني أمية في الأندلس بتنشئة ولي العهد أدبيّا وعلمياً وإعداده سياسيّاً وعسكرياً، وقد تبين من خلالها أن الأمراء والخلفاء الأمويون حرصوا كل الحرص على تربية أبنائهم التربية السليمة الصحيحة ولا سيما ولاة العهد منهم الذي حظوا بتعليم ومعاملة خاصة ومميزة عن باقي اخوتهم لأنهم حُكام المستقبل وحرصوا على إعدادهم وتهيئتم بالشكل الصحيح ممّا يضمن للدولة استقرارها واستمراريتها.

الكلمات المفتاحية: التهيئة؛ الإعداد السياسي؛ وليّ العهد؛ ولاية العهد؛ الأندلس.

1. مقدمة:

نظراً للأهمية الكبرى التي تَبوأتْها مسألة ولاية العهد في نظام الحكم، فقد كان اختيار وليّ العهد يتم قبل الإعلان الرسمي له بمدة طويلة، إذ جرت العادة أن يتعهد الحاكم أميراً كان أو خليفة من يرشحه لولاية العهد بالتربية اللائقة والإعداد والتهيئة الخاصة بما ينسجم وما ينتظره من المسؤوليات الهامة، حتى يكون مؤهلاً على كل المستويات لتولي منصبه الجديد، ممّا يكفل للإمارة أو الخلافة الاستقرار والاستمرارية، ولهذا تمتع ولي العهد منذ نعومة أظفاره برعاية كبيرة؛ فيهتم بتعليمه وتأديبه، ويختار له خيرة المعلمين والمؤدبين من المربين والفقهاء

E-ISSN : 2588-2090
ISSN : 1111-3707
مجلد 25 العدد 02 ديسمبر 2024 ص-ص 152-174

والمحدثين، ومن المقتدرين في شتى الميادين، لينشأ متعلماً مثقفاً مستنير الذهن مُلماً بشتى المعارف السياسية منها وغير السياسية المتعلقة بأمور الرعية والإدارة والشؤون العسكرية، أو ما تعلق بالدين والأدب والتاريخ وسير الأولين. وللكشف عن كيفية تهيئته وإعداده لتولي منصبه الجديد كأمير أو خليفة يستوجب علينا طرح الإشكالية التالية:

كيف كانت عمليات التهيئة والإعداد السياسي لولاة العهد في الأندلس خلال عصري الإمارة والخلافة؟ وإلى أي مدى ساهمت في تكوين شخصية ولاة العهد وإعدادهم للقيام بمهامهم السياسية والعسكرية بكفاءة عند توليهم منصبهم الجديد؟ وما هي أبرز مظاهر هذه التهيئة والإعداد السياسي؟

وللإجابة على هذه الإشكالية العامة حاولنا تتبع مختلف الروايات المتناثرة في ثنايا المصادر الأندلسية التي عنيت بالتربية والتعليم في الأندلس خلال عصري الإمارة والخلافة وكتب التراجم والطبقات التي ترجمة لعلماء الأندلس وتلك التي اهتمت بترجمة أمراء وخلفاء بني أمية بالأندلس، لمحاولة تكوين صورة واضحة المعالم قد الإمكان عمّا بذله الأمراء والخلفاء الأمويون بالأندلس من أجل تأديب وتعليم وتهيئة ولاة عهودهم والمناهج والطرق والأساليب التي اعتمدوها في ذلك، وفي الواقع فإن هذه المصادر لم تسعفنا في الحصول على ما كنا نأمل به، فقد زودتنا ببعض الشذرات والإشارات المقتضبة حول هذا الموضوع لا أكثر.

ولا شك أن موضوع الدراسة وطبيعته هو الذي يفرض اختيار أسلوب التناول ومنهجه، ولهذا فقد اعتمدنا المنهج التاريخي وما يفرضه من وصف

وتحليل، ولجأنا في بعض جوانب البحث إلى المنهج الاستقرائي كلّما دعت الحاجة إلى ذلك، خاصةً فيما يتعلق بمظاهر تأديب ولاة العهد، كما قسّمنا الدراسة إلى قسمين رئيسين حسب ما تقتضيه طبيعة الموضوع؛ فالقسم الأول تطرقنا فيه إلى تهيئة ولاة العهد أدبيا وعلميا، ومختلف مظاهرها، أمّا الثاني فتناولنا فيه الإعداد السياسي والعسكري لولاة العهد.

2. تهيئة ولاة العهد أدبيّاً وعلميّاً:

كان لأهل الأندلس إحساس كبير بقيمة العلم بمعناه الواسع، فقد حرصوا على طلبه، وأولوا تربية أولادهم عناية كبيرة، وإذا كان ذلك الاهتمام قد تجلى لدى كافة الأندلسيين، فمن الأَولى أن يكون لخاصتهم وحُكماهم قدَم السبق في ذلك، ونلمس هذا الاهتمام والعناية الكبيرة بالتربية والتعليم من خلال ما سجلته كتب التراجم والتواريخ الأندلسية، ومن خلالها يتضح لنا مدى اهتمام الأندلسيين بالحركة العلمية التي بدأت فعليّاً منذ عصر الإمارة (138-316هـ/756-929م) لكن هذا الاهتمام كان مُنصباً في البداية على العلوم الدينية الشرعية وعلوم اللغة، بالدرجة الأولى دون غيرها من العلوم الأخرى، ثم انتشر بعد ذلك تعليم باقي العلوم العقلية مثل علم الحساب والفلك ...وغيرهما[1].

ومن هذا المنطلق حرص أمراء وخلفاء بني أمية كل الحرص على تربية وتعليم أبنائهم ولا سيما ولاة العهد منهم فكان ولي العهد في الأندلس يتلقى تعليمًا دينيًا متينًا يشمل دراسة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والفقه الإسلامي، هذا التعليم كان ضروريًا لتأسيس القيم الإسلامية في نفوسهم والتي تشكل أساس الحُكم في الأندلس، كما تمّ الحرص على تعليم ولي العهد شتى العلوم بالإضافة إلى الأدب والتاريخ لينشأ تنشئة صحيحة سليمة.

E-ISSN : 2588-2090
ISSN : 1111-3707
مجلد 25 العدد 02 ديسمبر 2024 ص-ص 152-174

فالأمير عبد الرحمان الداخل (138-172هـ/756-788م) بالرغم من انشغاله بتأسيس إمارته المستقلة وتوطيد أركانها، وردع الخارجين عليها، حرص على تربية وتعليم أبنائه[2] ويشير الزبيدي في طبقاته إلى أنه استأدب[3] الفقيه الغازي بن قيس[4] لأبنائه، وكان هذا الفقيه يمارس مهنة التأديب منذ دخول عبد الرحمن بن معاوية إلى الأندلس، كما أنّ ابنه الأمير هشام (172-180هـ/788-796م) بعد ذلك استأدبه أيضاً لأبنائه[5]، وأسند مهمة تأديب وليّ عهده الحَكم إلى النحوي سوار بن طارق[6] .

وقد عني الأمير الحَكم الربضي (180-206هـ/796-822م) بتعليم ابنه وولي عهده عبد الرحمن عناية شديدة، فبدأ بتحفيظه القرآن الكريم وضمّ إليه مقرئي القرآن، ثمّ اختار له عدداً من المؤدبين وعهد لهم تعليمه اللغة والآداب، ودرّجه في مختلف العلوم حتى ارتقى إلى النظر في الحكمة، كما طالع كتب الأوائل[7] .

فنشأ عبد الرحمن بن الحَكم شغوفاً منذ صغره بالأدب والحكمة ودروس الفقه والحديث والفلسفة وغيرها من العلوم، حيث أرسل الأديب عباس بن ناصح الجزيري[8] إلى العراق في التماس الكتب القديمة واستنساخها وجهزه بالأموال، فأتاه بسائر كتب الفلسفة والحكمة والطب وغيرها من كتب الأوائل، فكان عبد الرحمن أول من أدخل هذه الكتب إلى الأندلس وعرّف أهلها بها، ونظر هو فيها وفي غيرها من الكتب الإسلامية، فاتسعت معرفته وزادت ثقافته، وبذلك نشأ مُتعلماً مُثقفاً مستنير الذهن بعيد النظر في شتى العلوم وفنون الأدب، وتضاعف سرور والده الأمير الحكم به، وتأكد له صلاحه وكفاءته لتولي الحُكم بعده، فقدّمه على جميع أولاده مع كثرتهم، وولاهُ عهده من بينهم [9]، وهذا ما انعكس على الأندلس في

فترة حكمه فقد بلغت شأوا عظيماً في الحضارة، وكان هو رجل حضارة بمعنى الكلمة.

اتخذ الأمير عبد الرحمن بن الحكم (206-238هـ/822-852م) الأديب الشاعر عثمان بن المثنى القيسي لتأديب أولاده، وذكر ابن حيان أنه كان في جملة رؤساء المؤدبين للأمراء، وأدّب كذلك أولاد الأمير محمد بن عبد الرحمن، وكان عثمان بن المثنى نحويّاً حاذقاً، عالماً باللغة، متوسعاً في علم اللسان، شاعراً بارعاً[10] .

واختار الخليفة الحكم المستنصر(350-366هـ/961-976م) الفقيه أحمد بن محمد يوسف المعافري لتأديب ولي العهد هشام المؤيد، كما تدخل بنفسه في عملية التأديب ورسم للمؤدب المنهاج الذي يسير عليه في تعليم ولي عهده، وحدّد له مكانا خاص يتمكن من خلاله متابعة ولده ومؤدبه، فلما ظهرت علامات الاستيعاب على الولد عبّر الخليفة عن سروره بإخراج الصدقات لتقسم على المحتاجين شكراً لله[11].

كما كلّف النحوي أبو بكر الزبيدي الذي وصفته المصادر بأنه عالم عصره في علم النحو واللغة، بتأديب ولي عهده هشام المؤيد وتعليمه الحساب واللغة العربية، وأمر له بإحسان كثير، فكان هو الذي علمه الحساب والنحو ونفعه نفعاً كثيراً [12].

وروي عن العلامة أبي الأصبغ عيسى بن عبد الملك بن قزمان الذي كان من علماء الحديث والأدب في عصره أنه أدّب الخليفة هشام المؤيد في صباه[13]، كما أن الفقيه عثمان بن نصر المصحفي القرطبي قام بتأديب أباه الحكم المستنصر في صباه[14] .

E-ISSN : 2588-2090
ISSN : 1111-3707

وقد عني الأمير عبد الله (275-300هـ/888-912م) بحفيده عبد الرحمن عناية شديدة فكَفله منذ صغره بعد مقتل والده محمد وحرص على تعليمه، واختار له أشهر المعلمين فحفظوه القرآن وعلموه الحديث ثمّ الأدب والنحو والتاريخ والحكمة وأقوال وأشعار العرب[15].

ومما سبق يتبين لنا مدى حرص أمراء وخلفاء بني أمية على تربية وتعليم ولاة عهودهم، إذْ عهدوا إلى كبار علماء الأندلس في عصرهم مهمة تأديبهم وتعليمهم وأشرفوا على ذلك بأنفسهم، ومن خلال الشذرات التي وفرتها لنا كتب التراجم والتواريخ الأندلسية يتضح لنا البعض من مظاهر اهتمام وحرص الأمراء والخلفاء الأمويين بالأندلس على تربية وتهيئة ولاة عهودهم، وكذلك بعض الطرق والأساليب التي اتبعوها في ذلك، والتي نوجزها في النقاط التالية:

1.2 اختيار المؤدبين والمعلمين:

من مظاهر اهتمام الأندلسيين عامةً، والأمراء والخلفاء الأمويين خاصةً بتربية وتعليم أبنائهم ولا سيما ولاة العهد منهم اختيار المؤدب وفق شروط علمية وأخلاقية محددة، فنلاحظ حرص الأمراء والخلفاء الأمويون على أن يكون مؤدبو ولاة عهودهم من صفوة علماء الأندلس ومن أعلى الرجال درجةً في العلم ومن المشهود لهم بذلك، وممّن يتمتعون بمستوىً عالٍ من التدين والأخلاق القويمة، وأن يكون المؤدب عالماً بأخلاق الملوك وآدابهم، لأن أخلاق المؤدب ومستواه ينعكس على شخصية أبنائهم سواء العلمية أو الخلقية، ، فالولد يأخذ من مؤدبه من الأخلاق والشمائل والآداب والعادات أكثر مما يأخذ من والده، لأن مجالسته له

أكثر ومُدارسته معه أطول، فيصبح المؤدب في نظره قدوة يقتدي به في سائر أفعاله[16]، فكما رأينا سابقاً أن من اختاره الأمراء والخلفاء الأمويون لتأديب أبناهم من كبار العلماء في الأندلس في شتى مجالات العلوم والآداب.

2.2 المساهمة في وضع المنهج التعليمي:

كان نظام التعليم لدى المسلمين عامة في العصر الوسيط مركزاً على العلوم الدينية قائماً على تحفيظ القرآن الكريم والسنة النبوية، وقد أولى الأندلسيون هذ الجانب أهمية بالغة في مراحل تعليم أبنائهم، فالقرآن أصل التعليم لديهم، لذا نجد الأمير عبد الرحمن الداخل يعهد إلى الفقيه الغازي بن قيس تأديب أبناءه وتحفيظهم القرآن الكريم[17]، وذكر ابن حيان أن الأمير الحكم الربضي حرص على تحفيظ ابنه وولي عهد عبد الرحمن القرآن الكريم وضم إليه مقرئي القرآن، ونستشف ممّا ذكره أيضاً أنه ساهم في وضع المنهج التعليمي الذي سار عليه مؤدبو ولي عهده بدايةً بتحفيظه القرآن الكريم ثمّ تعليمه اللغة العربية والآداب، ثمّ درّجه في مختلف العلوم العقلية كالحساب ومسائله حتى ارتقى ابنه عبد الرحمن إلى النظر في الفلسفة والحكمة[18].

أمّا الأمير عبد الله فقد عني بحفيده وولي عهد عبد الرحمن بن محمد عناية كبيرة وحرص على تعليمه، فبدأ بتحفيظه القرآن كعادة من سبقه من أمراء بني أمية، واختار له أشهر معلمي القرآن ثمّ علّمه الحديث لما لهما من أهمية عُظمى في تقويم الأخلاق، ثمّ اللغة والأدب والنحو بعدها التاريخ والحكمة وأشعار العرب [19].

ونجد الخليفة الحكم المستنصر تدخل هو بنفسه في عملية التأديب ووضع المنهج التعليمي الذي سار عليه المؤدبون لتعليم ولي عهد هشام المؤيد وتابع الأمر بنفسه[20].

E-ISSN : 2588-2090
ISSN : 1111-3707
مجلد 25 العدد 02 ديسمبر 2024 ص-ص 152-174

3.2 أماكن تعليم ولاة العهد:

لعدم وجود مؤسسات رسمية خاصة بالتعليم في تلك الفترة كان التعليم يتم في المنازل والكتاتيب والمساجد والرباطات والمكتبات بالنسبة للعامة، أمّا الخاصة فكان يتم في أكثر من مكان حسب المكانة الاجتماعية للطفل، كقصور الأمراء والخلفاء والأعيان وبيوت العلماء، فأبناء الأمراء والخلفاء كان يتم تعليمه داخل القصور، وكان على الأمير أو الخليفة أن يعد مكاناً خاصاً مناسباً يتولى فيه المؤدب تعليم ولاة العهد ونستدل على ذلك بأن المؤدب عثمان بن المثنى القيسي قد زاره بعض اخوانه في مكتبه بقصر الخلافة وهو يعلم ولداً للأمير محمد[21]، كما أن الخليفة الحكم المستنصر أمر بتجهيز غرفة بالقصر وتهيئتها وتزويدها بكل ما يحتاج إليه مؤدب ولي عهده، وفتح باب خاص لها ليسهل على المعلم الدخول إليها والانصراف منها[22].

4.2 متابعة الأمراء والخلفاء لولاة عهدهم ومؤدبيهم

لم يقتصر دور الأمراء والخلفاء الأمويين على اختيار المؤدبين لولاة عهودهم وتهيئة المكان والمناخ المناسب لتنشئتهم تنشئة صحيحة، والمساهمة في وضع النظام التعليمي لهم فحسب، بل تعدى ذلك إلى متابعتهم بشكل مستمر للوقوف على مدى فعالية هذه التنشئة، وما بلغوه من مستوى تعليمي من جهة، ومن جهة أخرى متابعة مؤدبي أبنائهم للوقوف على مؤهلاتهم وسلوكهم الشخصي ومدى استفادة أبنائهم منهم.

وممّا يدل على ذلك ما ذكره ابن حيان في مقتبسه بشأن الخليفة الحكم المستنصر الذي كان يتابع بشكل دقيق ويراقب عن كثب الفقيه أحمد بن يوسف المعافري وهو يُأدّب ولي عهده هشام المؤيد داخل القصر، كما أقام الحكم المستنصر احتفالاً ببداية تعليم ولي عهده[23]، ويبدو أن السبب في ذلك يرجع إلى شغف الخليفة بابنه الوحيد وولي عهده، وأنه قد رزق بهذا الطفل على كبر[24] .

5.2 الاهتمام براحة المعلمين وإكرامهم

حظي المعلمون بالأندلس وبالذات من وصل منهم إلى تعليم أولاد الأمراء والخفاء خاصة ولاة العهد منهم بمكانة اجتماعية عالية، وكانوا أكثر حظّاً من سواهم من حيث الأجرة والأرزاق التي يكسبونها أو المناصب التي يتقلدونها وأصبحوا أكثر شهرة من غيرهم، ويضرب لنا الخليفة الحكم المستنصر مثالاً في الاهتمام بمعلمي ولي عهده بباع عريض، فكان قيام النحوي محمد بن الحسن الزبيدي بتعليم ولي العهد هشام المؤيد سبباً في أن ينال أبو بكر هذا دنيا عريضة ويحصل على مكانة رفيعة؛ إذْ تولى قضاء اشبيلية وخطة الشرطة، وحصل على أموال ضخمة استفاد منها هو وأبناؤه من بعده زمنا طويلاً[25] .

فالخليفة الحكم المستنصر كان كثير العطاء والإنفاق على معلمي ولي عهده، شديد الاهتمام بهم مُلبيّاً لكل احتياجاتهم ورغباتهم.

3. الإعداد السياسي والعسكري لولاة العهد:

كما كان الأمراء يهتمون بتأديب أولياء عهودهم نظريّاً، فإنهم كانوا يهتمون بتدريبهم عمليّا، وذلك من خلال إسناد بعض المهام والوظائف إليهم، فالأمير عبد الرحمن الداخل «استوزر ابنيه تنويها بحالهما»[26] وأنابهما عنه في إدارة الأقاليم، فولى ابنه سليمان على طليطلة كما ولى ابنه الآخر هشام على ماردة[27] .

مجلة الدراسات التاريخية
E-ISSN : 2588-2090
ISSN : 1111-3707
مجلد 25 العدد 02 ديسمبر 2024 ص-ص 152-174

وحدثتنا روايات عديدة عن مدى حرص الأمير عبد الرحمن الداخل على تهيئة ابنيه هشام وسليمان ومعرفة شخصياتهم عبر إجراءات كانت تتخذ من الأمير مع أبنائه قبل اختيار وتعيين ولي العهد، فقد أعدّ ما يمكن أن نسميه برنامج تدريب سياسي يعتمد المناوبة بين ولديه في حضور مجالسه، لاطلاعهما على كيفية إدارة الدولة من جانب وللتعرف إلى قدراتهما من جانب آخر، واعتمد في هذا البرنامج على المناوبة بينهما فكانا يحضران مجلسه كل على حدة[28]، فذكر المقري أن الأمير عبد الرحمن الداخل كثيراً ما يسأل عن ابنيه ليرى رأي الناس فيهما فيذكرون له:

«أن هشاماً إذا حضر مجلساً امتلأ أدباً وتاريخاً وذكراً لأمور الحرب ومواقف الأبطال، وما أشبه ذلك، وإذا حضر سليمان مجلساً امتلأ سخفاً وهذياناً، فيكبر هشام في عينه بمقدار ما يصغر سليمان...»[29] .

كما أن الداخل أراد يوماً أن يقوم بنوع من الامتحان العلمي والأخلاقي لولديه المرشحين لولاية العهد هشام وسليمان، فنادى الأول وقال له: لمن هذا الشعر:

وتعرِف فيه من أبيه شمائــلاً ومن خاله أو من يزيد ومن حُجُرْ
سماحة ذا، وبرّ ذا، ووفاء ذا ونائل ذا، إذا صحا وإذا ســكر

فأجابه هشام قائلاً:

«يا سيدي، لإمري القيس ملك كنده، وكأنه قاله في الأمير أعزه الله، فسرّ منه إلى أبعد حدّ وأمر له بإحسان كثير وزاد شأنه في نظره، ثم سأل سليمان على

انفراد على البيتين ذاتهما فأجابه: لعلهما لأحد أجلاف العرب، أليس لي شغل غير حفظ بعض أقوال الأعراب؟».

فأدرك الأمير فضلهما ومال إلى ابنه هشام وفضله على أخيه الأكبر سليمان؛ إذ اعتبر هذا الأخير متعجرفاً، مبتعداً عن العلوم والمعارف غير مكترثٍ بتحصيلهما، بينما اعتبر أخوه هشام أكثر تواضعاً وأكثر جدّية واهتماماً ومعرفة بالعلوم والآداب، وله الكفاءة والمقدرة على شؤون الحُكم[30] .

كما استخلف الأمير عبد الرحمن الأوسط ابنه محمداً بقصر الإمارة لما غزا بنبلونة سنة 226هـ/840م وهو ابن احدى وعشرين سنة، ثمّ ولاه ثغر سرقسطة فضبطه وأحسن إدارته، وأسند إليه قيادة ميمنة جيشه في غزوته الثانية لبنبلونة سنة 228هـ/842م، فأبلى بلاءً حسناً أعْجب والده، فأثنى عليه الأمير عبد الرحمن في كتاب الفتح الذي أرسل إلى العاصمة قرطبة تنويهاً بكفاءته وشجاعته، وبما أنّ كتاب الفتح يُتلى على منبر جامع قرطبة وترسل منه نسخ إلى كافة كور وثغور الأندلس فقد شاع اسمه وتداول الناس ذكره وأحسنوا الثناء عليه[31]، وأسند الأمير عبد الرحمن الأوسط ولي عهده محمداً مهمة استقبال ومقابلة رُسل ملك الفرنج قارله بن أذفونش[32] القادمين إليه لطلب الصُلح[33] .

وقد يحصل أن يتولى ولي العهد مسؤولية الإشراف التام على شؤون الدولة في حياة والده، فعندما أصيب الأمير الحكم الربضي بعلته التي لزمته أربعة أعوام من آخر عمره، واحتجب خلالها عن الرعية، استناب ابنه وولي عهده عبد الرحمن في تدبير شؤون الإمارة، فكان يتولى إدارة الدولة طيلة تلك الفترة[34] .

كما كلف الأمير عبد الله ولي عهده محمداً ببعض المهام المهمة ذات الطابع الدبلوماسي والعسكري في ناحية إشبيلية، والتي كانت ممزقة بسبب الصراعات

E-ISSN : 2588-2090
ISSN : 1111-3707
مجلد 25 العدد 02 ديسمبر 2024 ص-ص 152-174

بين القبائل المتنافسة، وكان والده يحرص دائمًا على تعليمه وتهيئته بما يتناسب مع منصبه الجديد، ويعامله بطريقة خاصة ومميزة عن اخوته[35]، وبعد مقتل محمد اهتم الأمير عبد الله بإعداد حفيده عبد الرحمن بن محمد وتأهيله لتولي الإمارة بعده، فأشار بتدريبه على ركوب الخيل واستعمال السيف والرمح، وكيفية التعامل مع باقي الأسلحة الأخرى وتعليمه شتى فنون الحرب وهو ابن احدى عشرة سنة[36] .

والخليفة عبد الرحمن الناصر (300-350هـ/912/961م) قام بتكليف ابنه الأكبر وولي عهده الحكم المستنصر بتولي «أمر الجباية والخزانة والخازن، ودار الضرب وغلاتها، وقلّده الإشراف على ذلك كله، والوقوف على أوجهه ومعانيه، وعلاته ودواعيه، فأحسن النظر، وبان أمره بما تقلد منه، واستراح إلى كفاءته»[37] .

ومن المعلوم أن لا ولاية ولا سلطان لولي العهد في حياة الأمير أو الخليفة، إلا في حال أسندت إليه بعض المهام والمسؤوليات الإدارية والعسكرية لإشراكه في إدارة شؤون الدولة وتسيرها والقيام بأعبائها قصد تدريبه وإعداده، أو لانشغال الأمير أو الخليفة بأمر من الأمور، فمن الأعمال التي أسندت إلى وليّ العهد قيادة حملة عسكرية[38] أو الاضطلاع ببعض الأمور الإدارية؛ مثل قراءة الكتب الواردة إلى البلاط لتقديمها للأمير مختصرة، وإلزام ولي العهد بحضور مجلس الوزراء[39]، أو توليته أمر الإشراف على الجباية، أو الإشراف على إنجاز بناء ونحوه[40]، أو تفويضه تعين الولاة والمشاورين، وكذلك استقبال الرسل الوافدين[41] .

وحتى يتسنى للأمير تنشئة ولي العهد وتهيئته لتولي الحُكم ومتابعته عن قرب، والوقوف على مستواه ومؤهلاته وسلوكه الشخصي من ناحية، وليتمكن ولي العهد من اكتساب الخبرة السياسية؛ عن طريق الاحتكاك بالحاكم وحضور مجالسه ومعرفة شؤون تدبير الرعية ومتابعتها عمليّا من الناحية الأخرى، فقد درج حكام بني أمية على جعل ولاة عهودهم يقيمون معهم في القصر، دون بقية[42]، لما في ذلك من فائدة عظيمة لهم، ففضلاً عن تعلم ولي العهد الكثير من فنون الحكم بسبب معايشة للأمير أو الخليفة، فإن وجوده في القصر يفرض عليه واجباً لا يمكنه الإخلال به، ألا وهو خلافة الأمير في تسيير دفة الحكم في القصر عند مغادرته قرطبة، وهذا أمر سار عليه أمراء بني أمية، فهم لا يسكنون أحداً معهم في القصر من أبنائهم إلا من يرشحوه لولاية العهد[43].

ومكان مقام ولي العهد من القصر السطح على حَسَب عادة الحُكام المسلمين؛ لأنه يقع فوق الباب الرئيسي للقصر الذي هو باب السُدَّة[44]، وهو أيضاً مجلس الأمراء والخلفاء، ومن خلال جلوسه في السطح يكون في مأمن، كما أنه يتمكن من مراقبة الباب الرئيسي للقصر، ومعرفة الداخل للقصر والخارج منه، فهو مكان جلوسه في النهار ومبيته في الليل، إذْ من يملك القصر، يملك المصر[45]، ولا يؤذن له مغادرة القصر لأي سبب كان، ويبيت معه في السطح أحد الوزراء بالإضافة إلى فتى من أكابر الفتيان الصقالبة، وإذا اضطر إلى ذلك بسبب استدعاء الحاكم له، فإنه يستخلف أحد إخوته لإنفاذ الكتب باسمه إلى حين عودته[46].

4. الخاتمة:

من خلال ما سبق يتضح لنا عدّة نتائج وهي كالآتي:

مجلة الدراسات التاريخية
E-ISSN : 2588-2090
ISSN : 1111-3707
مجلد 25 العدد 02 ديسمبر 2024 ص-ص 152-174

مدى اهتمام وحرص أمراء وخلفاء بني أمية بالأندلس بتهيئة ولاة عهودهم، فقد كان ولي العهد يحظى بمكانة خاصة لديهم ويتفرد بتربية وتعليم خاصين ورعاية مميزة، فأوكلوا مهمة تربيتهم والإشراف على تأديبهم إلى ألمع الشخصيات العلمية في عصرهم في العلوم والآداب، كما تمّ الحرص على تعليمهم شتى العلوم بالإضافة إلى الأدب والتاريخ لينشؤوا تنشئة صحيحة سليمة.

وكما كان الأمراء يهتمون بتأديب أولياء عهودهم نظريّاً، فإنهم كانوا يحرصون أيضاً على تدريبهم عمليّاً، وذلك عبر تكليفهم ببعض المهام الإدارية والعسكرية وحتى السياسية وصلت إلى حدّ الإشراف العام على شؤون الحُكم .

ومن مظاهر اعتناء حُكام بني أمية في الأندلس بولاة عهودهم اختيار خيرة المؤدبين والمعلمين لهم وتخصيص غرفٍ خاصة في القصر ليتم تعليمهم فيها، والمساهمة في وضع المنهج والنظام التعليمي، زيادةً على متابعة الأمراء والخلفاء لهم ولمؤدبيهم.

وإضافةً إلى ما سبق كان حُكام بني أمية يجعلون ولي العهد يقيم معهم في القصر دون بقية الأبناء، وكان القصد من ذلك بالإضافة إلى صقل مواهب ولي العهد وتأهيله لمنصبه الجديد، رفع ذكره بين الناس؛ ونشر ذكر ولي العهد أمر ضروري لتعريف الرعية به وإعطائهم صورة طيبة عنه، فإذا ما استلم الحُكم كان ماضيه المجيد ماثلاً أمام أعين الرعية وبمثابة الرصيد التاريخي المؤهل له لتولي منصب حاكم الدولة.

أثمرت جهود الأمراء والخلفاء الأمويين في تهيئة ولاة عهودهم وإعدادهم سياسيّاً وعسكريّاً وحققت نتائجها في تكوين شخصية ولاة العهد إلى حد كبير، وأسفرت عن حُكام أقوياء ثَبتوا حُكم بني أمية في الأندلس قرابة ثلاثة قرون من الزمن، وساهموا بدرجة كبيرة فيما وصلت إليه الأندلس من علم وحضارة؛ فالأمير هشام كان من أهل الخير والصلاح والتقوى حاكماً ورعاً تقياً، وكان ابنه الحَكم أميراً شديد القوة والعزم والحزم حسن التدبير استقرت أوضاع الأندلس في عهده، حيث قضى على مختلف الفتن والثورات، أمّا الأمير عبد الرحمن الأوسط بالإضافة إلى مقدرته السياسية والعسكرية كان رجل علم وحضارة ووصلت الأندلس في عهده إلى ذروة الحضارة خلال عصر الإمارة، أمّا الخليفة عبد الرحمن الناصر فهو الذي أعاد للإمارة هيبتها ووحّد أقاليمها بعدما مزقتها الثورات والفتن وقضى على حالة التشرذم التي سادت الأندلس آواخر القرن الثالث الهجري، وعادت الأندلس إلى سابق وحدتها تحت السيادة الأموية .

كما أنه حوّل حُكم بني أمية في الأندلس من إمارة إلى خلافة واستقرت الأوضاع في عهده وتمتعت الأندلس بفترة من السّلم والاستقرار والرخاء، فكان عهد الناصر بالنسبة للأندلس ذروة عصورها قوة وعظمةً ومجداً وحضارةً.

5-الهوامش:

[1] أبو القاسم صاعد بن أحمد الأندلسي، طبقات الأمم، نشره: الأب لويس شيخو اليسوعي، دط، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1912م، ص 22.

[2] Lévi-Provençal, Historia de España, Tomo IV, España Musulmana : Hasta la Caída del Califato de Córdoba (711-1031 d.C.), Trans : Gómez Emilio García, Segunda Edición, Dirigida por Ramón Menéndez Pidal, Espasa-calpe, s. a., Madrid, 1957, p 91.

[3] على الرغم من أن كلمة "تأديب" تختص عادةً بالجانب الخُلقي والتهذيبي في التربية، إلاّ أن هذا المصطلح وظّف أيضاً في مجال التعليم والتدريب لدى المسلمين في العصر الوسيط، كما اقترنت كلمة "المؤدب" بمصطلح آخر وهو "المعلم" في الإشارة والتعريف بمن كانوا يختصون بتعليم الصبية في الكتاتيب، وقد شاع مصطلح "المؤدب " في الأندلس للدلالة على مُعلم المرحلة الابتدائية، إمّا في الكتاتيب عند تعليم أبناء العامة، أو في القصور بالنسبة للخاصة كأبناء الأمراء والخلفاء والوزراء وغيرهم من وجهاء الدولة، أنظر: محمود قمبر، دراسات تراثية في التربية الإسلامية ، مج 02، دط، دار الثقافة، الدوحة، 1985، ص-ص 225-228.

[4]الغازي بن قيس (ت199هـ/814م): فقيه مالكي أندلسي من أعلام قرطبة، رحل إلى المشرق رغبةً في طلب العلم، فسمع عن جمع كثير من العلماء أبرزهم الإمام مالك والأوزاعي، وعاد إلى الأندلس بعلم غزير، وهو أول من أدخل موطأ الإمام مالك إلى الأندلس، وكذلك قراءة نافع، لمزيد عنه أنظر: أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط02، دار المعارف، مصر، دت، ص-ص 254-256.

[5] الزبيدي، المصدر السابق، ص 255.

[6]سوار بن طارق: من أهل قرطبة رحل إلى المشرق لطلب العلم والتقى بأهل اللّغة والفصاحة، وممّن برع في ذلك، على غرار الأصمعي وغيره، وعاد إلى الأندلس بعلم غزير، أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، مج 02، دط، دار صادر، بيروت لبنان، 1388هـ/1968م، ص 46.

[7] أبو مروان حيان بن خلف بن حيان القرطبي، المقتبس، السفر الثاني، تح: محمود علي مكي، ط01، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، 2003م، ص 278.

[8] عباس بن ناصح الجزيري الثقفي: من أهل الجزيرة الخضراء رحل به أبوه صغيراً فنشأ بمصر، وتردّد بالحجاز لتعلم اللغة العربية، ثم رحل إلى العراق فلقي الأصمعي وغيره من أهل الفصاحة والنحو من البصريين والكوفيين، ثم رجع للأندلس وولاهُ الأمير الحكم قضاء شذونة والجزيرة، وكان شاعراً من أهل العلم باللغة ومن الشعراء المجودين الفصحاء المكثرين، أثيراً عند الأمراء يستنصحونه، وقد ترجم له ابن حيان في مقتبسه ترجمة واسعة ويعدّ أكثر مصادر ترجمته تفصيلاً وأثنى عليه كثيراً ، ومما ذكره ابن حيان فيه: فحل شعراء الأندلس المتفنن في جميع العلوم البارع في حفظ اللغة وضبط اللسان العربي الحاذق بدقائقِ الحساب والفلسفة والهندسة، توفي بعد سنة 230هـ/844م، للمزيد عنه راجع :

ابن حيان، المقتبس، المصدر السابق، السفر الثاني، ص-ص 231-237. ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، تح: إبراهيم الابياري، ج01، ط02، دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني، القاهرة، 1410هـ-1989م، ص، ص 504،505.

[9]ابن حيان، المقتبس، المصدر السابق، السفر الثاني، ص 278.

[10]نفسه.

[11]أبو مروان حيان بن خلف بن حيان القرطبي، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تح: عبد الرحمان علي الحجي، دط، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1965م، ص 76.

[12] نفسه.

[13]علي بن موسى بن سعيد المغربي، المُغرب في حُلى المغرب، تح: شوقي ضيف، ج01، ط04، دار المعارف، القاهرة، دت، ص 210.

[14] ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 517.

[15] José Antonio Conde, A History of the Dominion of the Arabs in Spain, translated: Jonathan foster, V 01, henry.G. bhon,1854, p 361

[16]أبو الحسن علي بن محمد الماوردي، نصيحة الملوك، تح: خضر محمد خضر، ط01، مكتبة الفلاح، الكويت، 1983م، ص 171.

[17] الزبيدي، المصدر السابق، ص 255.

[18]ابن حيان، المقتبس، المصدر السابق، السفر الثاني، ص 278.

[19] Conde, op.cit, p 361.

[20] Emilio García Gómez, Anales Palatinos del Califa de Córdoba AL-Hakam II, Por Isa ibn Ahmad Al-Razi, Sociedad de Estudios y Publicaciones, 1967, p 98.

[21]ابن سعيد المغربي، المصدر السابق، ج01/ ص 133.

[22]ابن حيان، المقتبس، المصدر السابق، الحجي، ص 76.

[23]احتفظ لنا مؤرخ الأندلس ابن حيان بوصف تفصيلي لاهتمام الخليفة الحكم المستنصر ببداية تدريس ابنه وولي عهده هشام المؤيد وتفاصيل الاحتفال الذي أقامه بهذه المناسبة، للمزيد عن ذلك أنظر: ابن حيان، المقتبس، المصدر السابق، الحجي، ص-ص 75-77.

[24]نفسه، ص 77.

[25]أبو العباس شمس الدين أحمد بن مكرم ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تح: إحسان عباس، ج04، دط، دار صادر، بيروت، 1900م، ص 372.

E-ISSN : 2588-2090
ISSN : 1111-3707

[26]أبو عبد الله بن عبد الله بن عبد الرحمان القضاعي ابن الأبار، الحُلة السيراء، ج01، تح: حسين مؤنس، ط02، دار المعارف، القاهرة، 1985م، ص 42.

[27]المقري، المصدر السابق، مج01، ص 334.

[28]نفسه.

[29]الملك قارله: هو شارل المعروف بلقب الأصلع (Lechauve Charles) حكم الإمبراطورية الكارولنجية ما بين 224-264هـ/843-877م، وعندما تم تقسيم الإمبراطورية في عام 843م بموجب معاهدة "فردان" حاز شارل الأصلع على الجزء الغربي منها والثغر الإسباني، فجاورت أراضيه أراضي المسلمين بالأندلس، ويبدو أن لقب قارله كان يطلقه المسلمون على كل ملك من ملوك الإفرنج، أنظر: محمود سعيد عمران، معالم تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، دط، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، دت، ص 183.

[30]ابن حيان القرطبي، المقتبس من أنباء أهل الأندلس، حققه وقدّم له وعلّق عليه: محمود علي مكي، دط، دار الكتاب العربي، بيروت، 1973م، 103.

[31]ابن حيان، المقتبس، المصدر السابق، مكي، السفر الثاني، ص 279.

[32] - Eduardo Manzano Moren, Conquistadores, emires y califas: Los Omeyas y la formación de al-Andalus, Brosmac, S.L, España, 2006, p 198.

[33] Conde, op.cit, p 361.

[34]ا بن حيان القرطبي: المقتبس، ج05، دط، نشره: ب. شالميتا بالتعاون لضبطه وتحقيقها مع ف. كورينطي وم. صبح وغيرهم، المعهد الإسباني العربي للثقافة، مدريد، 1979م، ص 469.

[35]أبو بكر محمد بن عمر ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، تح: إبراهيم الابياري، ط02، دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني، القاهرة - بيروت، 1989م، ص 101.

[36]ابن حيان، المقتبس، المصدر السابق، مكي، القطعة الثانية، ص 104.

[37]ابن حيان، المقتبس، المصدر السابق، شالميتا، ص469.

[38]ابن حيان، المقتبس، المصدر السابق، مكي، القطعة الثانية، ص 103.

[39]ابن حيان، المقتبس، المصدر السابق، مكي، السفر الثاني، ص 278.

[40]ابن حيان، المقتبس، المصدر السابق، شالميتا، ص 334.

[41]ابن حيان، المقتبس، المصدر السابق، مكي، القطعة الثانية، ص 103.

[42]ابن حيان، المقتبس، المصدر السابق، مكي، السفر الثاني، ص 278.

[43] ابن حيان، المقتبس، المصدر السابق، شالميتا، ص 334.

[44]باب السُدَّة: هو الباب الرئيسي لقصر الخلافة بقرطبة المُطل على ضفة الوادي الكبير وعلى القنطرة، وقد كان القصر مواجهاً للمسجد الجامع بقرطبة، وكان للقصر خمسة أبواب أعظمها وأهمها باب السّدّة المذكور الذي كان على الطريق المرصوف الذي يحاذي ضفة النهر، ومنه كان يدخل ضيوف الأمراء والخلفاء وزواره، للمزيد عنه راجع:

Leopoldo Torres Balbas, «Bab al-Sudda» y les zudas de la España oriental, Al-Andalus, Vol. XVII, 1952, p 80.

[45]ابن حيان، المقتبس، المصدر السابق، شالميتا، ص 334.

[46]أبو بكر محمد بن عمر ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، تح: إبراهيم الابياري، ط02، دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني، القاهرة - بيروت، 1989م، ص 99.

6.قائمة المصادر والمراجع:

المصادر:

01- ابن الأبار، أبو عبد الله بن عبد الله بن عبد الرحمان القضاعي (ت 685هـ/1286م)، الحُلة السيراء، تح: حسين مؤنس، ط02، دار المعارف، القاهرة، 1985م.

02- ابن حيان القرطبي، أبو مروان حيان بن خلف (ت 469هـ/1076م)، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تح: عبد الرحمان علي الحجي، دار الثقافة، بيروت لبنان، 1965م.

03- ـــــــــــ، المقتبس، ج05، دط، نشره: ب. شالميتا بالتعاون لضبطه وتحقيقها مع ف. كورينطي وم. صبح وغيرهما، المعهد الإسباني العربي للثقافة، مدريد، 1979م.

04- ـــــــــــ، المقتبس من أنباء أهل الأندلس، حققه وقدّم له وعلّق عليه: محمود علي مكي، دط، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، 1973م.

05- ـــــــــــ، المقتبس، السفر الثاني، تح: محمود علي مكي، ط01، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، 2003م.

06- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن مكرم (ت 681هـ/1282م)، وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تح: إحسان عباس، ج04، دار صادر، بيروت لبنان، 1900م.

07- الزبيدي، أبو بكر محمد بن الحسن (ت 379هـ/989م)، طبقات النحويين واللغويين، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط02، دار المعارف، مصر، دت.

08- ابن سعيد المغربي، علي بن موسى (ت 685هـ/1286م)، المُغرب في حُلى المغرب، تح: شوقي ضيف، ج01، ط04، دار المعارف مصر، دت.

09 - صاعد الأندلسي، أبو القاسم صاعد بن أحمد (ت 462هـ/1069م)، طبقات الأمم، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1912.

10- ابن عذارى المراكُشي، أبو عبد الله محمد (كان حيّاً سنة 712هـ/1312م)، البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: ج . س . كولان و إ . ليفي بروفنسال، ج02، ط03، دار الثقافة، بيروت لبنان، 1983.

11- ابن الفرضي، أبو الوليد عبد الله بن محمد (ت 403هـ/1013م)، تاريخ علماء الأندلس، تح: إبراهيم الابياري، ج01، ط02، دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني، القاهرة، 1989م.

12- القاضي عياض، عياض بن موسى السبتي (ت 544هـ/1149م)، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تح: أحمد سعيد أعراب، ط01، ج02، فضالة المحمدية، المغرب، 1981م.

13- ابن القوطية، أبو بكر محمد بن عمر(367هـ/977م)، تاريخ افتتاح الأندلس، تح: إبراهيم الابياري، ط02، دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني، القاهرة - بيروت لبنان، 1989م.

14- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد (ت 450هـ/1058م)، نصيحة الملوك، ط01، تح: خضر محمد خضر، مكتبة الفلاح، الكويت، 1983م.

15- المقري التلمساني، أحمد بن محمد (ت 1041هـ/1631م)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت لبنان، 1968م.

المراجع العربية:

01- عمران محمود سعيد، معالم تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، دط، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، دت.

02- قمبر محمود، دراسات تراثية في التربية الإسلامية، دط، دار الثقافة، الدوحة، 1985.

المراجع الأجنبية:

E-ISSN : 2588-2090
ISSN : 1111-3707

01- Conde José Antonio, A History of the Dominion of the Arabs in Spain, translated: Jonathan foster, V 01, henry.G. bhon, 1854.
02- Lévi-Provençal, É, Historia de España, Tomo IV, España Musulmana: Hasta la Caída del Califato de Córdoba (711-1031 d.C.) (E. G. García, Trans., 2nd ed.). Espasa-Calpe, Madrid, 1957.
03- Gómez Emilio García, Anales Palatinos del Califa de Córdoba AL-Hakam II, Por Isa ibn Ahmad Al-Razi, Sociedad de Estudios y Publicaciones, 1967.
04- Moren Eduardo Manzano, Conquistadores, emires y califas: Los Omeyas y la formación de al-Andalus, Brosmac, S.L, España, 2006.

المقالات الأجنبية:

01- Balbas Leopoldo Torres, «Bab al-Sudda» y les zudas de la España oriental, Al-Andalus, Vol. XVII,1952 , p-p 75-85.